٤

اجعلوا بيوتكم قبلة

والمقصود اتخاذ البيت مكاناً للعبادة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

قال ابن عباس: «أُمروا أن يتخذوها مساجد»(١).

قال ابن كثير: «وكان هذا -والله أعلم- لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون، وقومه، وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وفي الحديث عن حذيفةَ ﷺ قال: «كانَ النّبيُّ ﷺ إذا حزبهُ أمرٌ صلّى»(٢) (٣).

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٥٣).

(٢) رواه أحمد (٢٢٢١٠)، وأبوداود (١١٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٧٠٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٥٢).

وهـذا يبين أهميـة العبـادة في البيـوت، وخصوصـاً في أوقات الاسـتضعاف، وكذلـك ما يحصـل في بعض الأوضـاع؛ عندما لا يسـتطيع المسـلمون إظهار صلاتهم أمـام الكفـار. ونتذكر في هذا المقـام أيضـاً محراب مريم، وهـو مكان عبادتها الذي قـال الله فيه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكان الصحابـة ﷺ يحرصـون عـلى الصـلاة في البيـوت -في غـير الفريضـة- وهـذه قصة معـبرة في ذلك: عـن محمود بـن الرّبيعِ الأنصـاريِّ أنَّ عتبانَ بـنَ مالكٍ -وهوَ من أصحابِ رسـولِ الله ﷺ ممّن شهدَ بدراً من الأنصارِ- أنّهُ أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: «يا رسولَ الله قـد أنكرتُ بصري، وأنا أصلّي لقومي، فإذا كانت الأمطارُ سـالَ الوادي الّذي بيني وبينهم لم أسـتطع أن آتيَ مسـجدهم؛ فأصلّيَ بهم، ووددتُ يـا رسـولَ الله أنّكَ تأتينـي؛ فتصلّيَ في بيتي؛ فأتّخـذهُ مصلّىً، قال: فقال لهُ رسولُ الله ﷺ: «**سأفعلُ إن شاءَ اللهُ**»، قال عتبانُ: فغدا رسولُ الله ﷺ، وأبو بكرٍ حينَ ارتفعَ النّهارُ، فاستأذنَ رسولُ الله ﷺ، فأذنـتُ لهُ، فلم يجلس حتّى دخلَ البيتَ، ثمَّ قال: أينَ تحبُّ أن أصلّيَ من بيتكَ؟ قال: فأشرتُ لهُ إلى ناحيةٍ من البيتِ، فقامَ رسولُ الله ﷺ، فكبّرَ، فقمنا، فصفّنا، فصلّى ركعتينِ، ثمَّ سلّمَ»[1].

(١) رواه البخاري (٤٢٥).